اللوحة الرابعة الخروج عندما تريد المشيئة الإلهية يتحقّق المستحيل، تتقلّب الأوضاع، تتغيّر المعايير، تبطل النواميس البشرية، وتعمل أُخرى ربانية تدحض ما يوقن العقل الإنساني أنّه الحتمي اللازم، والمنطقي المقبول، لتأتي دونه بما هو معجز غير معقول، ومخالف لطبيعة الأمور. ويوم الأرضة من هذا القبيل. فلقد كان فاصلاً بين نوعين مختلفين من السلوك: السابق منهما طفق[568] المسلمون فيه يلجأون ـ ما وسعهم ـ إلى الامتناع من أذى قومهم بجوار هذا وذاك من سادة قريش وأشرافها ذوي النفوذ، واللاحق منهما كان دأبهم على توجيه مسيرة الرسالة وجهةً جديدةً، بجهدهم الخاصّ، دون تكلّف سعي لتلمّس عون من لدن أحد من عليّة قومهم، ولا تطلّع نحوه للدخول في حماية مجير. ما من فرد بين جماعتهم التي انشقّ عنها الحصار، إلاّ أحسّ بعد خروجه من الشعب أنّه أخذ بقواه الذاتية: المعنوية والمادية، ينطلق قُدُماً بالدعوة إلى دين ا، إن لم يكن عَدْواً فهرولة فوق أرض من كفاحه جديدة.